صفتا المزمّل والمدثر: دراسة لغوية تأصيلية دلالية.

د. أنس قرقز*

تاريخ وصول البحث:٢٠٢٢/٢/٢٤م تاريخ قبول البحث:٢٠٢٢/٦/١٣م

المُلَخَّصُ:

يسعى الباحث إلى دراسةِ كلمتي المزمل والمدثر دراسةً لغوية ضمن المستوى: الصوتي والصرفي والدلالي؛ لمعرفة ما أصاب الكلمتين من تماثل صوتي أو تطور دلالي: أفقي أو رأسي وصولاً إلى مقاصد الخطاب القرآني عند المفسرين، ساعيًا إلى معرفة السبب في استخدام الصيغتين في الخطاب الإلهي، وعدوله عن استخدام النداء المباشر بالاسم الصريح، أو لقب النبي أو الرسول، ويسعى الباحث إلى تأصيل الكلمتين من المصادر اللغوية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية: النداء في القرآن الكريم، التطور الدلالي، المماثلة في القرآن الكريم، التأصيل.

The Two adjectives of Al-Muzammil and Al-Muddathir:

An authentic Semantic Linguistic Study

Abstract

The researcher seeks to study the adjectives Al-Muzammil and Al-Muddathir, a linguistic study within the phonetic, morphological and semantic levels to find out the sound similarity of the two words or semantic development: horizontal or vertical, up to the purposes of the Qur'anic discourse among the commentators, seeking to find out the reason for using the two formulas in the divine discourse by abandoning the use of direct appeal by the explicit name or title of the Prophet or Messenger, and the researcher seeks to root the two words to their origins.

Keywords: the call in the Holy Qur'an, semantic development, analogy in the Holy Qur'an, Assimilation, rooting.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

الْمُقَدِّمَةُ:

درس اللغويون وغيرهم قديمًا وحديثًا الرمزَ اللغويَّ وغير اللغويّ، وخلصوا إلى أنّ الرمز اللغوي هو القادر على أداء المعنى، ودرسوا الرمز ضمن المستوى: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي، والمقارن، ومما لاشكّ فيه أن بعضًا من الرموز اللغوية يصيبها شيء من الغموض: مقصودًا كان أم غير مقصود؛ تبعًا للمتكلم، أو المتلقّي، أو الرمز نفسه، أو النّصّ الذي وردتْ فيه؛ ونتج عن هذا الغموض تصنيف الرموز اللغوية ضمن المجال الذي درسها.

وضمن المستويات اللغوية جاءت دراسة كلمتي المدثر والمزمل؛ باعتبارهما صفتين أُطلقتا في القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ، وهما أوّلُ صيغتي نداء له في القرآن الكريم، اقترنت بهما أداة النداء الياء، وحدث فيهما تماثل صوتي، ومن الناحية الصرفية فكلتاهما اسم فاعل تدلان على ذات وحدث، وتعددت الاشتقاقات الصرفية لجذريهما، أمّا مِن الناحية الدلالية فكلتاهما حصل فيهما غموض دلالي أدّى إلى عدهما من المشترك اللفظي، ووقعتا في حقل دلالي واحد فأضحتا من المترادف، وأضحى بالإمكان وقوعهما في علاقة دلالية أفقية، وأصابهما تطور دلالي: أفقي ورأسي؛ أدى إلى عدم القدرة على إيجاد دلالة مركزية يمكن إرجاع التطورات الناتجة إليها، وتبيّنَ من الدراسة المقارنة بالاعتماد على المنهج المقارن تداخل الدلالة اللغوية بين العربية وبعض اللغات الأخرى.

والباحث إذ يقف عند هاتين الكلمتين يحاول الإجابة عن بعض الأسئلة مثل:

ما سبب التماثل الصوتي في الكلمتين؟ وما سبب استخدام حرف النداء (يا) وما دلالته؟

وما أصل الكلمتين؟ ومتى ظهرتا في الاستخدام اللغوي؟ وما سبب الغموض الدلالي الذي أصابهما؟

ويحاول الباحث التعريج على المغزى من استخدامهما في النداء الإلهي الأول والعدول عن صيغة النداء المظنونة من مثل: يا محمّد أو يا أيها النبيّ أو يا أيها الرسول ... أو نحوٍ من تلكم الصيغ، في حين استخدمت صيغٌ ندائية مع الأنبياء والرسل ارتبطت بأسمائهم، نحو: يا آدم، يا إبراهيم، يا عيسى...

ويسعى الباحث من خلال اعتماده على المنهج الوصفي التحليلي إلى إيجاد الفرق الدلالي بين الكلمتين، أو إيجاد ملامح تمييزية بينهما، أو إخراجهما من دائرة المشترك اللفظي.

وكان الترتيب في البحث بحسب ترتيب السورتين في القرآن الكريم المزمّل أوّلًا فالمدّثّر.

لم أجد– حسب اطلاعي- مَن تناول لفظتي المزمل والمدّثر، ببحث مستقل، مع أن عددًا من الدارسين، تناولوا سورتي المزمل والمدثر، وأذكر منهم:

صباح عيدان حمود، (**التكامل الأسلوبي بين سورتي المزمل والمدثر**)، صدرت عن المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، (حولية المنتدى للدراسات الإنسانية)، عدد (٤٤)، تشرين أول (٢٠٢٠م)، وعلي محمد حميد حماد، (**التشابه في الأغراض والأساليب بين سورتي: المزمل والمدثر**)،

جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد ٢٩، المجلد ١، (٢٠٠٩م)، وهما دراستان بلاغيتان، أفاد الباحث منهما في بعض الأمور، وهناك دراسات لم أستطع الوقوف عليها[١]، لكن توحي عناوينها باختلافها عن دراستنا.

محاور البحث:

–المقدمة.

–المستوى الصوتي.

–المستوى الصرفي والدلالي، وتأصيل الكلمتين من مظانهما الأصيلة.

–الكلمتان في القرآن الكريم.

–دلالة "المزمل والمدثر" المعجمية، والسياقية في القرآن الكريم.

–استخدام أداة النداء (يا)، والعدول عن الصيغة الاسمية المباشرة في النداء إلى المزمل والمدثر.

–الخاتمة، والنتائج، والتوصيات.

المستوى الصوتي:

أولًا: المزّمّل:

أَصْله المُتَزَمِّل فأُدغمت[٢] التَّاء فِي الزَّاي فثقِّلت الْمِيم[٣]؛ لِقُرب الصوتين من بعضهما[٤]، ولمْ يوضح القدماء المقصود بالقرب فيما إذا كان في المخرج أم في الصفة الصوتية، وقد يكونان معًا؛ وتجلية ذلك تكون بذكر صفات الصوتين اللذين حصل فيهما الإدغام، ومخرجهما.

أمّا الإدغام الذي ذكره الأزهري في الكلمة فهو (المماثلة) (Assimilation) عند المحدثين، وهي ظاهرة معروفة في اللغات عامة، تحدث حينما يتوالى صوتان متماثلان، أو مختلفان – لكنهما متقاربان- سواء في كلمة واحدة أم في كلمتين، إذا كان الصوتُ الأول ساكنًا، والثاني متحرّكًا [٥]، ولتحقيق المماثلة بين الصوتين المراد إدغامهما لا بُدَّ من تسكين الصوت الأول [٦]؛ كون الصوتين غير متماثلين، وبما أنّ العربية تكره تتابع المقاطع القصيرة المجهدة، فإنها تلجأ إلى اختزالها عن طريق إسقاط الحركة من أحدهما لِتشكّل من المقطعين القصيرين المتتابعين مقطعًا متوسّطًا مقفلا [٧]، ثم يتأثر الصوت الأول بالصوت الثاني فيبدل الأول متأثرًا تأثرًا رجعيًّا[٨] أدّى إلى تماثلهما صوتيًا، ثم يُدغم الصوتان فينطقان صوتًا واحدًا، ويندرج هذا النوع من المماثلة تحت مسمى "المماثلة الكلية المدبرة المتصلة"[٩]، والتأثير الرجعي هو الشائع في لغة العرب[١٠]- بل وفي أغلب لغات العالم [١١].

يرى علماء الأصوات أن (التاء) صوت شديد مهموس، وفي تكوّنه لا يتحرّك الوتران الصوتيان، بل يتّخذ الهواء مجراه في الحَلْق والفَم حتّى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا انفصالًا فجائيًّا سُمع ذلك الصوت الانفجاري [١٢]، وأما صوت الزاي فهو أحد الأصوات الأسلية، أو الصفيرية - كما يسميه علماء التجويد والقراءات القرآنية، ويحدث الصفير نتيجة ضيق

المجرى عند مخرج الصوت[١٣]، وهو صوت رخو مجهور، وللنطق به يندفع الهواء الخارج من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يتّخذ مجراه من الحلقِ والفَمِ حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أوّل اللسان بالثّنايا السُّفلى أو العُليا[١٤]، ومن المقرّر لدى علماء الأصوات المحدثين أن صوتي التاء والزاي لهما مخرج واحد هو "الأسنان واللثّة مع حدّ اللسان وطرفه"[١٥]، إلاّ أن المخرج يقفل عند تكوّن صوت التاء، بينما يضيق إلى حدٍّ كبير عند تكون صوت الزاي[١٦]، وأمّا صفاته، فهو مجهور رخو (احتكاكي – صفيري)، وهذه الصفات جعلتها تتفوق في القوة على صوت التاء، فتحوّل صوت التاء زايًا في أصل الصيغة، ثم أُدغم الصوتان فصارا صوتًا واحدًا مشدّدًا، ينطق بهما دفعة واحدة، وقد تأثر الصوت الأول (التاء) بالثاني تأثرًا رجعيًّا مُدبِرًا؛ وفي هذا شيء من التيسير في عملية النطق، والاقتصاد في المجهود العضليّ، ويمكن توضيح عملية المماثلة حسب المخطط التالي:

الأصل قبل (الإدغام) المماثلة: الفعل الثلاثي:	زَمَل	تَزَمَّل	يَتَزَمَّل	مُتَزَمِّل
تماثل صوت التاء صوت الزاي مماثلة تامّة		زَزَمَّل	يَزَزَمَّل	مُزَزَمِّل
تسكين الصوت الأول		زْزَمَّل	يَزْزَمَّل	مُزْزَمِّل
إدغام الصوت الأول في الثاني		زَّمَّل	يَزَّمَّل	مُزَّمِّل
مجيء همزة الوصل للنطق بالساكن أول الفعل		ازَّمَّل	يَزَّمَّل	مُزَّمِّل

ثانيًا: المُدَّثّر:

الْأَصْل مُتَدَثِّر فأُدْغِمَتْ التاءُ فِي الدَّال وشُدِّدتْ[١٧]. ويحصل الإدغام بناء على صفات الأصوات ومخارجها، وسبق الحديث عن الإدغام (المماثلة) في المزّمّل، وكذلك ما يتعلق بصوت التاء في المدثر، أمّا صوت الدّال فهو شديد مجهور، يتكوّن بأن يندفع الهواء مارًّا بالحنجرة فيُحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جدًّا؛ لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً مُحكمًا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سُمع صوت انفجاريّ (الدال)[١٨]، ونخلص من هذا إلى أنَّ صوتي التاء والدال لهما مَخرج واحد، ويشتركان في الصفات، إلاّ أنّ التاء مهموس والدال نظيره المجهور.

وبما أنّ التاء والدال متجاوران في الكلمة فإن احتمالية المماثلة واردة؛ للتجانس الصوتي[١٩]، المتمثّل في أمرين: المخرج الواحد، وصفات الصوتين فهما يتفقان في الانفتاح والاستفال، ويفترقان في الشِّدّةِ والهمس. فلمّا تجاور الصوتان وكان بينهما فاصل صوتيٌّ صنعَته الفتحة (مُتَدَثّر) على التاء اختَزل جهازُ النطقِ الجهدَ المبذول في الانتقال من نطق صوت التاء وحركتها منفصلا إلى صوت الدال، فأحدثَ مماثلةً صوتية بينهما؛ بإبدال التاء دالًا بعد أن عمل على تسكين التاء، وبذلك يلاحظ أنه غُلِّبت صفة الجهر على الهمس، وأُدغم التاء في الدال إدغامًا تامًّا.

ويمكن التوضيح بالمخطط التالي:

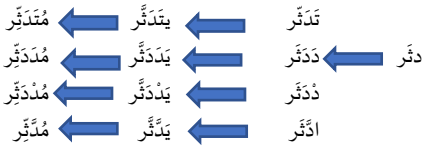

المستوى الدلالي، والتأصيل:

أولًا: المزمّل

تشترك اللغة العربية مع اللغتين الصفاوية والأكدية في الجذر "زمل" وبعضِ صيغه الاشتقاقية، وأسفر هذا الاشتراك عن تداخلٍ في دلالة "زمل" عند بعض اللغويين العرب، ونبّه بعضهم إلى شذوذ عددٍ من الكلمات شاذّة الأصل الدلالي من دون أن يبيّن السبب، الأمر الذي أدى إلى عدم وجود دلالة مركزية للجذر يمكن ردّ بقية الاشتقاقات اللغوية إليها.

وبناء على هذا فإنه يمكن استنتاج بعض من الأمور:

الأول: تعدد الاشتقاقات الصرفية المستعملة للجذر "زمل" وكثرتها، مِثل: زَمَل يزْمِل ويَزْمُل زِمالًا، والزِّمال والزَّامِل، وزَمْلا وزَمَلانًا [٢٠]، وصاحَبَ هذا التعددَ توسّعٌ في الدلالة، ومن هذا يمكن تحقيق أصل الكلمة؛ إذ إنّ كثرة اشتقاقاتها في لغة من اللغات السامية، وقلّتها أو عدمه في لغة أخرى يُرجّح أصل الكلمة في اللغة التي كثرت فيها الاشتقاقات [٢١].

الثاني: التداخل الدلالي بين العربية والصفاوية والأكديّة محصور في جانب دلالي مع كل لغة؛ أي أن اللغة العربية استقلت بدلالات خاصة بها، ولم تشترك بها مع غيرها، ومن هنا يمكن القول إن الكلمة عربية في دلالتها المستعملة فيها، أمّا الدلالات المشتركة بينها وبين اللغتين: الصفاوية والأكديّة فهي ليست أصيلة في العربية، ويمكن عدّها من المشترك اللغوي، وقد أشار بعض اللغويين إلى هذا، وبيَّن عدم إمكانية ردّ الدلالات إلى أصل واحد.

الثالث: مما يؤكد شيوع الكلمة في العربية -إضافةً إلى كثرة الاشتقاقات السابقة- أن العَرَب سَمّت: زاملًا وإزمَيْلًا وزَوْمَلًا (اسْم امْرَأَة) وزَمَلًا [٢٢]، والملاحظ في هذه الأسماء التطور الرأسي في نقل (إزميلا) مثلًا إلى العربية، وهو من تداخل العربية مع الأكدية واليونانية، ويتضح من النصوص التالية مدى تداخل الأصل العربي مع غيره: زَمَل: أخذ الشيء بِزَمَلَتِه، وأَزْمَلِهِ وأَزْمُلِهِ وأَزْمَلته، وترَكَ زَمَلَةً وأَزْمَلَةً وأَزْمُلا، وخلّف أزمَلَةً من عيالٍ، وعيالات؛ أزملة: كثيرة، وخرج بأزمُلِه، ومنه الزَّمِيل الذي يُزامل الرَّاحِل على راحلةٍ تسير معه [٢٣]، وهذه الدلالات الأخيرة متشابهة إلى حدٍّ كبير مع ما ورد في الصفاوية: zmlt بمعنى جماعة، أو فوج، أو حزب [٢٤]، وليس غريبًا أن يذكر ابنُ فارس أن قولهم: "أخذتُ الشيء بأزمَلِهِ" شاذّ، وكذلك الإزميل [٢٥]، وبناء على هذا فإنَّ المشترك اللغوي الذي حصل في الكلمة ناتج عن سبب خارجي تداخلت فيه اللغات، وهو ما يفسر صعوبة إرجاع دلالات الكلمة إلى دلالة مركزية

واحدة، وذلك أن المشترك اللغوي الأول: حدث بسبب التداخل بين العربية والصفاوية، والثاني: بين العربية والأكدية الذي دخلت فيه كلمة الإزميل: شَفْرةُ الحَذّاء[٢٦] إلى العربية من الأصل الأكادي (Azamillu)، وهي في الإغريقية بلفظ (Zimil)[٢٧]، وعدّها برجشتراسر من الدخيل إلى العربية من اليونانية[٢٨].

والملاحظ على الاستعمالات اللغوية وجود نمطين لغويين أحدهما زمَل، بتخفيف الميم، والثاني: زمَّل، بتشديد الميم، وترتّب على هذا الوجود اختلاف الدلالة بينهما إلى حدّ كبير، بَيْدَ أنَّه يمكن إرجاعُ دلالة الجذر "زمل" إلى ما يلي:

الدلالة المركزية الأولى: حَمْل ثِقْلٍ مِنَ الْأَثْقَالِ[٢٩]، ومنه الزَّامِلَةُ، وَهُوَ بَعِيرٌ يَسْتَظْهِرُ بِهِ الرَّجُلُ، يَحْمِلُ عَلَيْهِ مَتَاعَهُ. يُقَالُ ازْدَمَلْتُ الشَّيْءَ، إِذَا حَمَلْتُهُ. وَيُقَالُ عِيالَاتٌ أَزْمَلَةٌ، أَيْ كَثِيرَةٌ. وَهَذَا مِنَ الْبَابِ، كَأَنَّهُمْ كَلُّ أَحْمَالٍ، لَا يَضْطَلِعُونَ وَلَا يُطِيقُونَ أَنْفُسَهُمْ[٣٠]، وهو مما اشتركت به العربية والصفاوية، أمّا الأزْمَلَة في اللغة العربية -وهي الدلالة المركزية الثانية كما سيأتي- فهي متعلقة بالصوت لا بالكثرة، ودليل ذلك قول زهير بن أبي سلمى[٣١]:

عِندَ الذُّنابى لَها صَوتٌ وَأَزمَلَةٌ

يَكادُ يَخطَفُها طَورًا وَتَهتَلِكُ

واشتركت اللغتان أيضًا في "الازْدِمال": احتمال الشّيء كلّه بمرَّةٍ واحدة[٣٢]، ومما يلاحظ أيضًا أنّ دلالة الازدمال مشتركة في العربية بين ازْدَمَل وازْدَمّ، أي أنهما من المترادف، قال الخليل -رحمه الله-: والذِّئب يَذْهَب بالسَّخْلة زامًّا، أي: رافعًا رأسَه، وقد ازْدَمَّ سَخْلةً فذهب بها[٣٣].

وقد يتفرع عن هذه الدلالة المركزية إطلاق الزّمِيل على الرّديف الذي يكون على البَعير والدّابّة[٣٤]؛ كأنه حِمل أو ثِقل عليه، قال الأسعر الجُعفي[٣٥]:

نَهدُ المَراكِلِ لا يَزالُ زَميلُهُ

فَوقَ الرِحالَةِ ما يُبالي ما أَتى

ثم تطوّرت دلالتها فباتت تدلّ على الصاحب رديفًا كان أم غير رديف، وما يؤكد ذلك قول مُليحٍ الهذَليّ[٣٦]:

زَمائِلُها في كُلِّ طامِسَةِ الصُّوَى

لِطافُ بَقيّات الثَّمائلِ خُدَّجُ

ثم أصابها التطور فَغَدت تُطلق على الرّفيق، أو النظير، أو الشريك في العمل أو الدراسة[٣٧]، ومن هذا الأخير تطوّرت دلالتها أفقيًّا بالنقل وباتت شهادة الزَّمالة: عضوية في إحدى الكليّات الجامعيّة تُمنح للمبرزين[٣٨].

الدلالة المركزية الثانية: الصَّوت [٣٩]، ويقال له الأَزمَلُ، وجمعُه الأَزامل[٤٠]، وتطلق الأزْمُولَة على الأوعال المصوّتة [٤١]. ويمكن الاستشهاد على استخدامها في العصر الجاهلي بقول أبي قلابة الهذليّ [٤٢]:

وَشَريجَةٌ جَشّاءُ ذاتُ أَزامِلٍ

يُخطي الشِمالَ بِها مُمَرٍّ أَملَسُ

وجُمعت في الشعر على أزاميل أيضًا، ومنه قول عبد مناف الهذليّ [٤٣]:

وَلِلقِسِيّ أَزامِيلٌ وغَمْغَمَةٌ

حِسّ الجَنوبِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدَا

الدلالة المركزية الثالثة: العَدْو والسرعة، زَمَلَ: عَدَا وأَسْرَعَ مُعْتَمِدًا فِي أَحد شِقَّيْه رَافِعًا جَنْبَهُ الْآخَرَ، وكأَنه يَعْتَمِدُ عَلَى رِجْل وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ لَهُ بِذَلِكَ تَمَكُّنُ المعتمِد عَلَى رِجْلَيْهِ جَمِيعًا. والزِّمَال: ظَلْع يُصِيبُ الْبَعِيرَ. والزَّامِل مِنَ الدَّوَابّ: الَّذِي كأَنه يَظْلَع فِي سَيْره مِنْ نَشَاطِهِ [٤٤]، وهذه الدلالة قد تكون إسلامية، أو ظهرت في العصر الإسلامي إذ كان أقدم ظهور لها [٤٥] في قول لبيد بن ربيعة [٤٦]:

فَهوَ شَحّاجٌ مُدِلّ سنِقٌ

لاحِقُ البَطنِ، إذا يَعدُو زَمَل

وإذا صحّ ذلك فإن الدلالة قد أصابها تطوّر من المشابهة، فكأن الثّقل على الراحلة يجعلها تمشي مشية المعتمِد على إحدى رِجليه.

والملاحظ على ما سبق أنه لا يمكن ردّ الدلالات إلى دلالة مركزية واحدة، سببه الرئيس التداخل بين اللغات وما نتج عنه من تطور أفقي في الدلالة، لكن إذا استثنينا الدلالة الدخيلة من اللغتين الصفاوية والأكدية فإنه يمكن أن نجد تقاربًا في الدلالتين الأولى والثالثة إذ قد يكون العَدْو والسرعة مرتبطينِ بالثقل والخفّة، وكذلك يمكن ربط الدلالة الثانية المتعلقة بالصوت (الأوعال المصوّتة) في أنّ الحيوانات التي كانت تستعمل في الحِمل الثقيل يُسمع لها صوتٌ، ومع الزمن صارت الدلالة ترتبط بالصوت.

أمّا الجذر "زَمّل" فظهرت له أنماط لغوية متعددة، نتج عنها تمايز دلالي إلى حدٍّ ما، ويكاد يكون قول المهلهل بن ربيعة هو أقدم نصّ لغوي عربي [٤٧] استخدم فيه لفظ المتزمّل[٤٨]:

وابْكِينَ مَصْرَعَ جِيدِهِ مُتَزَمِّلًا

بِدِمائهِ فَلَذاكَ ما أَبْكاني

وورد مدغمًا (مُزّمّل) في شعر أحيحة بن الجلاح الأوسي [٤٩]:

وَالبِسْ عَدوَّكَ في رِفْقٍ وَفي دَعَةٍ

لِباسَ ذِي إِربَةٍ لِلدَّهرِ لَبّاسِ

وَلا تَغُرَّنَّكَ أَضغانُ مُزَمَّلَةٌ

قَد يَضرِبُ الدُبرَ الدامي بِأَحلاسِ

وورد بصيغة المذكر (مُزّمّل) في شعر امرئ القيس:

كأنَّ ثَبيرًا في عَرانينِ وَبْلِهِ

كَبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ(٥٠)

أمّا في العصر الإسلامي، فإن الكلمة حافظت على دلالتها وبقيت قيد الاستعمال، وما يؤيد ذلك ما روي عن الرسول -ﷺ- أنه بينما كان في الغار جَاءَهُ الْمَلَكُ فقال: اقرأ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ). قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي... فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي). فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ(٥١)، فاستخدامه للكلمة وردّ فعل السيدة خديجة رضي الله عنها يؤكد استعمال الكلمة بدلالتها المعروفة عندهم، ولم تتضح المادة التي تزمّل بها النبي -ﷺ-، ولا الهيئة التي صار عليها إلا أنه يمكن تحديد عددٍ من الملامح التمييزية للمزمّل، الأول: (التعب) بلغ منه الجهد مبلغه، والثاني: (الرعشة) ارتعشت أطرافه، والثالث: (الفزَع) أصابه الرَّوع. وتتضح مادة التزمّل في قول النبيَّ -ﷺ- لمّا أشرَفَ على قَتْلى أُحُدٍ فقال: "زَمِّلُوهُمْ بِثِيابِهِمْ"، أَي لُفُّوهُمْ فِيهَا، وفي رواية " زَمِّلُوهُمْ بِثِيابِهِمْ وكُلُومِهِم"(٥٢)، فمادة التزمّل هي الثياب، وأما الكيفية فهي لَفّ الجسمِ بالثَّوب حتى يصير كالْكَفَن، وقد جاء في معاجم اللغة ما يؤكد أن التَّزمّل هو التلفف بالثوب(٥٣)، وتتضح هيئة المتزمل عندما يكون متغطّيًا بثيابه(٥٤)، لكنّ اللغويين يؤكدون أن مادة التزمّل لا تكون بالثوب وحده، بل قد تكون بالثوب وبغيره، وفي هذا توسع في الدلالة، وكلُّ شَيْء لُفِّف قد زُمِّل(٥٥)، وعند بعض اللغويين التزمّل هو التّدثّر(٥٦)؛ أي أنهما من المترادف، وتبيّن المعاجم اللغوية الحديثة أنَّ الكلمة أصابها تطور دلالي أفقي، إذ حملت ملمحًا تمييزيًا جديدًا هو الإخفاء بالثوب(٥٧)، أمّا الزِّمّالة فقد اكتسبت دلالة جديدة في إطلاقها على نوع من أغطية الرأس في بلاد المغرب العربي(٥٨)، في حين نجد تطورًا دلاليًا في بعضِ الدلالات المجازية، فالزُّمَّال، والزُّمَّيل، والزُّمُل، والزُّمَل، والزُّمَيْلَة الضعيف الجبان(٥٩)، ويقرب من هذه الدلالة إطلاق الزِّمْل على الكسلان(٦٠)، وهذه الدلالة معروفة في العصر الجاهلي، ذكرها تأبط شرًّا(٦١):

تَقولُ سُلَيمى لِجاراتِها

أَرى ثابِتًا يَفَنًا حَوقَلا

لَها الوَيلُ ما وَجَدَت ثابِتًا

أَلَفَّ اليَدَينِ وَلا زُمَّلا

ووردت في العصر الإسلامي بالدلالة ذاتها، ومن ذلك قول رؤبة يمدح عبدَالله بن عمر بن عبدالعزيز [٦٢]:

لَمْ يَثْنِ كَفَّيْهِ لِجامُ البُخْلِ
وَلا تَعَقَّاهُ يَمِينُ المُؤْلِي
مُبْتاعُ مَجْدٍ يَشْتَرِي فَيُغْلِي
أَبْدَأَ فِي الشُبّانِ غَيْرَ زِمْلِ

ثانيًا: المدثر

تبيّن المصادر اللغوية أنّ "دثر" واشتقاقاتها الصرفية، ودلالاتها مستعملة في العصر الجاهلي، أمّا فيما يتعلق بوجودها في اللغات السامية أو في بعضٍ منها فلم أعثر على شيء من اشتقاقاتها في مصادر اللغات السامية[٦٣]، وقد يكون سبب عدم وجودها في اللغات السامية وجود كلمة موازية لها في تلك اللغات، وما يرجّح ذلك أن صوت الثاء في العربية لا وجود له في اللغات السامية[٦٤]، إضافة إلى أنَّ أصوات: السين، والفاء، والتاء في اللغة العبرية قد تقابل صوت الثاء في العربية[٦٥]، وهذا دليل يقوّي عربيتها، أمّا أقدم استعمال لها فقد جاء في شعر الزير سالم بدلالة القديم البالي الذي امَّحى أثره[٦٦]، ووردت على لسان ثوب بن النار اليشكري[٦٧]

كَفاني أبو حَسّانَ نفسي فِداؤه
تَعالِيَ أقوامٍ ذوِي نَعَمٍ دَثْرِ

ومما يصلح للتأشير على وجوده في الجاهلية وروده في شِعر امرئ القيس

كَأنّ دِثَارًا حَلّقَتْ بِلَبُونِهِ
عُقابُ تَنُوفَى لا عُقَابُ القَوَاعِلِ[٦٨]

ومما يصلح للتأكيد أنها معروفة في العصر الجاهلي أنَّ العرب سمَّت دِثارا[٦٩]، ودثّارًا[٧٠]، واستخدامها في الشعر الجاهلي دليل على أنها عربية فصيحة، لا تنتمي إلى قبيلة معينة من قبائل العرب.

واستمر وجود الكلمة إلى العصر الإسلامي، وحافظت على دلالتها، فظهرت على لسان الرسول- ﷺ- بعد نزول الوحي عليه أول الأمر في قوله: فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا[٧١]، ودلالتها المعروفة منذ الجاهلية، غير متعلقة بالدين الجديد، يؤكد هذا ردّ فعل أهل بيته الذين فعلوا ما طلبه منهم، ثم جاء الاستعمال القرآني للكلمة في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر﴾ وهذا محلّ الدراسة، التي يحاول الباحث فيها توضيح ما إذ بقيت الكلمة ضمن دلالتها المعروفة في الجاهلية، أمْ أنّ الكلمة أصابها تطوّر دلالي سواء أكان أفقيًّا أمْ رأسيًّا.

أرجع اللغويون كلمة "المُدَّثر" إلى الجذر الثلاثي "دثر"، وتعددت صيغه الاشتقاقية؛ مما أدّى إلى تعدد دلالات الجذر، وهذا يعني دخولها في دائرة المشترك اللفظي -حسب رأي بعض اللغويين-، ولا أبالغ إذا قلت: إن الكلمة تتعدد دلالاتها بقدر استعمالاتها اللغوية: الحقيقية والمجازية، وفي الوقت الذي دَرسَ فيه اللغويون الدلالةَ المركزية للصيغ الاشتقاقية لم يَغفلوا عن ذكر الدلالات الهامشية أيضًا، وبالفيء إلى المعاجم اللغوية يُلحظ تعددٌ في الدلالة المركزية مع اختلاف بسيط أحيانًا في مسماها، وأنَّ بعضًا منهم أضفى ملمحًا دلاليًّا، أو أكثر، عند ذِكر الكلمة، أو إحدى اشتقاقاتها، أمّا **الدلالة المركزية الأولى** "دَثْر" فهي ضيقة الدلالة عند الخليل ولا تتعدى كثرة المال[٧٢]، ثم توسّعت فباتت تدور في فلك الكثرة، وغدا كلُّ كثيرٍ دثْرٌ عند ابن دريد[٧٣]، وأكّدّ ذلك البندنيجي[٧٤]، ووافقه ابن منظور في أنّه الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [٧٥]، وفي هذه الحالة فإن "دثْر" لا تُثنى ولا تُجمع، فتقول: مالٌ دَثْرٌ، ومالان دَثْر، وأموالٌ دَثْرٌ[٧٦]، ومما يؤشّر به على هذه الدلالة من الدلالة السياقية ما ورد في قول فقراء المهاجرين لرسول الله ﷺ: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ"[٧٧]، ويؤكّد ابن فارس أنّ دلالة "دثْر" لا تخرج عمّا سبق ذكره، مع انحراف بسيط في التعبير، وتعميم الدلالة على الجذر اللغوي للكلمة، فقال: "الدَّالُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرِدٌ. وَهُوَ تَضَاعُفُ شَيْءٍ وَتَنَاضُدُهُ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ[٧٨]. ويمكن القول إنَّ أيَّ خروج عن هذه الدلالة المتعلقة بالتضاعف يمكن عدّه من المشترك اللفظي، ويحاول الباحث أن يجد ترابطًا بين الدلالة المركزية وبقية الدلالات الأخرى قدر الإمكان.

أمّا **الدلالة المركزية الثانية:** "دَثَر" فهي متركّزة في الغطاء أو التغطية، أوما يعرف بمعنى دَرَسَ [٧٩] وقَدُمَ، وأرجعَها ابنُ فارس إلى التغطية: فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: رَسْمٌ دَاثِرٌ، ... وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ ظَاهِرًا حَتَّى تَهُبَّ عَلَيْهِ الرِّيَاحُ وَتَأْتِيَهُ الرَّوَامِسُ، فَتَصِيرَ لَهُ كَالدِّثَارِ فَتُغَطِّيَهُ [٨٠]، وقد يكون أقدم استعمال لغوي بهذه الدلالة ما ورد في شعر المهلهل بن ربيعة[٨١]

أَشَاقَتْكَ مَنزِلةٌ داثِره

بِذاتِ الطُّلُوحِ إلى كَاثِرَه

ومن ذلك أيضًا قول ذي الرّمّة [٨٢]:

أَشاقَتْكَ أخلاقُ الرُّسومِ الدَّواثِرِب

ِأدْعاصِ حَوضيِ المُعْنِقاتِ النَّوادرِ

وتُظهر بعضُ النصوص اللغوية دلالةً هامشية (مجازية) أو يمكن عدّها من الروافد الدلالية التي يمكن حملها على الغطاء أو التغطية، ومن ذلك: (تدثّر الفَحْلُ الناقةَ: تَسَنَّمَها، وتدثّر الرجلُ فَرَسَه: وثَبَ عليه فَرَكِبَهُ. ودثر الثوبُ: اتَّسَخَ، ودثر السيفُ: صَدِئَ. ودَثَرَ الشجرُ: أورَقَ وتَدْثيرُ الطائِرِ: إصلاحُهُ عُشَّهُ [٨٣])؛ فالمعنى المحوري الجامع لتلكم الصيغ اللغوية تغطي الشيء بِطبقة كثيفة من دِقاق:

كورق الشجر يغطيه، وكما يغطي الصدأُ السيفَ، والرملُ الرَّسْمَ. والطائرُ يصلح عشَّه بدقاقٍ كالحشيش يفرشه فيه طبقة وثيرة [٨٤].

وتُظهر النصوص اللغوية المتعلقة بالدلالة المركزية الثانية للدِّثار(الاسم) شيئًا مرتبطًا باللباس، أو الغطاء الخاص بالإنسان، ومن ذلك: أنّ الدِّثار ما فوق الشِّعار من الثياب[٨٥]، وبتغير طفيف في العبارة نجد الدلالة ذاتها عند الجوهري الذي أكّد: أنّ الدِّثار كلّ ما كانَ مِن الثيابِ فوقَ الشِّعار[٨٦]؛ وسمّي الشعارُ شعارًا لأنّه يَلِي شعَر الْجَسَد دون مَا سواهُ من اللِّباس[٨٧]، ويضيف الأزهري ملمحًا دلاليًا على الدثار بأنه الثوب الذي يُستدفأُ به من فوق الشِّعار[٨٨]، وهو ما نجده عند الزَّبيدي[٨٩]، وتنتقل الدلالة عند ابن دريد من الثياب إلى كلّ ما طرحته عليك من كساء[٩٠]، وهو بهذا يخرجها من الثياب، ونجد اتساع دلالتها الكبير عند ابن سِيده في إطلاقها على كل ما يتدثّر به الإنسان [٩١]، لكنّ عبد القادر البغدادي ضيَّقها في إطلاقها على الغطاء، كاللِّحاف ونحوه، مستشهدًا بقول النمر بن تولب[٩٢]:

وظلْعي ولمْ أُكسرْ وأنَّ ظعينتي
تَلفُّ بَنِيها في الدِّثارِ وأُعْزَلُ [٩٣]

أي؛ ومما رابني أنَّ زوجتي تستخف بي فتغطي أولادها دوني.

وبناء على ما سبق يمكن استنتاج بعض الأمور -لِما يتدثر به المختص بالغطاء واللباس-:

الأول: الدثار هو ما فوق الشعار من الثياب، فالشِّعار والعِيان ليسا من الدثار، أي أنه ليس كل ثوب دثارًا.

الثاني: الدثار هو الثوب الذي يُستدفأ به من فوق الشعار، وإذا لم يُلبس طلبًا للدفء فلا يقال له دثار.

ومَردّ ذلك كلّه إلى التغطية أو الغطاء؛ وذلك أن المتدثر يكون داخلًا في الثوب، ويتبين مما سبق أن الدِّثار إذ أطلق على الثوب فإنه يكون في الطبقة الثانية من الملابس، فأولها الشِّعار فالدِّثار فالظِّهار، وهذا الأخير يظهر للعيون، ويكون الدِّثار بينهما طلبًا للدَّفء، ويمكن عدّ الدلالة المركزية الثانية تابعة للدلالة المركزية الأولى؛ وذلك أن الثانية مرتبطة بالأولى من باب المشابهة، مع أنه يمكن تصنيف كل دلالة في حقل لغوي مختلف، فالأولى يمكن تصنيفها في الكثرة والثانية في اللباس.

ولم تتوقف الدلالة للدِّثار عند الحقيقية بل تعدّتها إلى المجازية، إذ حفلت كتب التراث بنماذج لغوية عديدة أظهرت الاستعمال اللغوي في وقت مبكرٍ، للدلالة على العامة من الناس، من ذلك قوله -ﷺ- للأنصار: "أَنْتُمُ الشِّعَارُ، وَالنَّاسُ الدِّثَارُ[٩٤]"، وبالدّلالة ذاتها استُخدِمت في العصر الأموي في وصية معاوية بن أبي سفيان ﷺ-: "وانظُر أهلَ الشَّامِ فاجْعلهم الشِّعار دونَ الدِّثار، فإن رابَكَ من

عَدوِّك رَيْبٌ فَارْمِهِ بِهِم"[٩٥]، واستخدمت أيضًا في الأمثال، دونَ تغيير في الدلالة:" هُوَ الشِّعَارُ دُونَ الدِّثَارِ"[٩٦]، وتوسعت الدلالة مجازًا؛ إذ استعار بعض الشعراء ذلك للحَسَبِ فقال [٩٧]:

فِي فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِّ مَسَامِحٍ

عِنْدَ القِتالِ قَدِيمُهُمْ لَمْ يَدْثُرِ

وقد وَجد الباحثُ مجموعة من النصوص اللغوية جاءت فيها الدلالة مرتبطة بالصفات السيئة نوعًا ما، ويمكن عدّها من التطوّر الرأسي للدلالة، فقد أطلقت على الهالِك، كما في قولهم: رَجُلٌ خاسِرٌ داثِرٌ؛ أي: الهالِك [٩٨]، ويمكن ربط هذه الدلالة بالدَّرْس؛ وذلك أنه يختفي وكذلك حال الهالِك، والدَّثور: الكسلان، والخامل[٩٩] والنؤوم، والبطيء الثقيل الذي لا يكاد يبرح مكانه[١٠٠]، ويقرب منه ما ذكره الزمخشري: دَثُور الضحى؛ يتدثر فَيَنام[١٠١]، ويكاد التطور الرأسي يكون الأكبر في انحطاط الدلالة[١٠٢] عندما أُطلقت على المأبون من الرِّجال[١٠٣]، ولا أرى الإطلاق هنا عامًّا؛ وذلك أن المأبون كان يَتزيّا بِزيٍّ نسائي كالبرقع ونحوه، يؤيد هذا ما جاء في تهذيب اللغة: "يُقَال للرجل المأبون قد برقع لحيته وَمَعْنَاهُ: تَزيّا بزيّ مَن لَبِسَ البُرْقُع"[١٠٤]، فالمدثر المأبون هو الذي يتدثر بثوب نسائي، أو شبيه بملابس النساء، ولم تكن هذه الصفة الوحيدة التي أطلقت على المأبون، فقد أطلِقت عليه صفة متعلقة بالمشية، فقيل له: المجبوس[١٠٥]، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث في أن المتدثر المأبون يَتزيّا بِزيٍّ نسائي.

وتظهر دلالة فرعية في إطلاقها على كبير السِّنّ فيقال: دثر الرجل إذا عَلَتْهُ كَبْرَةٌ واسْتِسْنانٌ [١٠٦]، وعلّة ذلك أنّ الرجل إذا تقدم في العمر احتاج إلى الدِّثار أكثر من غيره، فصار ملازمًا له.

المزمل والمدثر في القرآن الكريم:

أولًا: المُزَّمّل:

ظلّتِ الدلالة عند المفسرين تدور في فلك اللغويين، فالمتزمل عندهم هو المتلفِّف بثوبه تارة [١٠٧]، والمتغطي بثيابه ليلًا تارة ثانية[١٠٨]، ويكاد يكون هذا هو الملمح التميزي عند المفسرين، ونلحظ تحديدًا في كيفية التزمّل: فهو التَّعَمُّمُ وَالتَّأَزُّرُ وَالتَّقَمُّصُ [١٠٩]، وتوسَّع المفهوم عند الماتريدي، عندما ساواه بالمدّثر[١١٠]، وجعله من المترادف، إلاّ أن بعض المفسرين قد أخذ دلالة "زمل" المخفف المتعلقة بالثقل، وجعلها للمزّمّل؛ اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، وبهذا نلاحظ نقل دلالة "زمّل" المخفَّف إلى "زمّل" المضعّف، وكأن معنى الآية: يا أيها الذي حمل أمرًا عظيمًا[١١١]، في حين يؤكد بعض المفسرين أن أصل المزمّل هو الإخفاء[١١٢].

وبما أن القرآن الكريم لم يذكر شيئًا صريحًا عن المزمّل، والكلمة الوحيدة التي ذكرت في الآية لا تحمل أيَّ ملمحٍ تميزي أو دلالي، ولكي تتضح دلالة المزّمّل بشكل دقيق، أو الحصول على بعضٍ من

الملامح التمييزية لها، أوْ تأكيد بعضها التي ذكرها اللغويون والمفسرون، أودّ أن أذكر الأعمال التي كلّفه الله بها:

أعمال المزمّل:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۞ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١-١٠]

أولى الأوامر الإلهية في تطوير الذات وبناء الشخصية تمثَّلت في قيام الليل، وترتيل القرآن، وهذان هما المميزان الدلاليان في الآيتين الكريمتين، فالمزمل يقوم أكثرَ الليلِ، ويرتل القرآن؛ استعدادًا لِما سَيُلقى عليه من القول الثقيل، وتهيئته للمرحلة القادمة، وما فيها من إنذار ودعوة، وتختلف هذه المرحلة عن المرحلة السابقة – التحنّث في غار حراء قبل الدعوة- في أنّ الجديدة مرتبطة بالوحي، ارتباطًا مباشرًا، فالفكر والأسئلة التي كانت تدور في خلده، ويحار في إجاباتها باتت من الماضي، وبهذه المرحلة انتهت الحيرة وتبددت الظلمة، وعلى المزمّل أن يستغلّ الليل ويستفيد منه، وكأنه يقول له: استبدل القيام بالنوم.

المرحلة الجديدة فيها قول ثقيل، وهذا الملمح الأبرز؛ إذ إن القرآن فيه من الأوامر والنواهي والتعليمات التي ستقيّد حياته، وستقرنها بالوحي، ولن تكون القرارات التي اعتاد على اتخاذها كما كانت، بل ستكون تابعة للوحي، وهذا في حدّ ذاته ثقيل على المزمل، فكل ما حوله سيتغير ويتبدّل، وليست مسألة توحيد الإله فحسب، بل إن التغيير سيشمل كل ما حوله، وحتى ما في داخله أيضًا.

مثلما ركّز على الليل وكيفية استغلاله، نبّه إلى أنّ النهار مختلف عن الليل، "فالنَّهَارَ زَمَنٌ فِيهِ شُغْلٌ عَظِيمٌ لَا يَتْرُكُ لَكَ خَلْوَةً بِنَفْسِكَ. وَشُغْلُ النَّبِيءِ ﷺ فِي النَّهَارِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِبْلَاغِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِ الدِّينِ وَمُحَاجَّةِ الْمُشْرِكِينَ وَافْتِقَادِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، فَعَبَّرَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ بِالسَّبْحِ الطَّوِيلِ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ تَلَطُّفًا وَاعْتِذارًا عَنْ تكْليفهِ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَفيه إِرْشادٌ إِلَى أَنَّ النَّهارَ ظَرْفٌ واسعٌ لِإِيقَاعِ ما عسى أن يكلفه قيام اللَّيْلِ مِنْ فُتُورٍ بِالنَّهارِ لِينامَ بَعْضَ النَّهارِ وَلِيقومَ بِمَهَامِّهِ فِيه"[١١٣].

وتختم التوجيهات الإلهية إلى المزمّل بالتبتّل إلى الله تعالى؛ بأنْ يفرغ البالَ والفِكر إلى ما يرضي الله، فكأنه انقطعَ عن الناس وانْحازَ إلى جانب الله [١١٤]، وهذا الملمح التمييزي مختص بالمزمّل في تبتله إلى الله، وملمحان آخران نجدهما في التوكّل على الله والصبر على ما يقولون، وكأن الله تعالى يقول له: وكّل أمرك لي؛ واصبر على ما يقولون وفوّض أمرَهم إِلَيَّ، فإنني لمّا كنتُ وكيلا لك أقومُ بإصلاحِ أمرِك أحسنَ مِن قيامِك بإصلاحِ أمورِ نفسِكَ[١١٥]، وهو سبحانه جمع كل ما يحتاج إليه من هذا الباب في هاتين الكلمتين، وذلك لأن الإنسان إمّا أن يكون مخالطًا للناس أو مجانبًا عنهم فإنْ خالطهم فلا بدَّ

له من المصابرة على إيذائهم وإيحاشهم[١١٦]، يمكن استخلاص الملامح التمييزية من الآيات الكريمة السابقة بما يلي: فالمزمل يقوم أكثر الليل، ويرتل القرآن، ويذكر اسم ربه ويتبتل إليه، ويصبر على قول الناس، ويعاملهم معاملة حسنة في الهجر.

يطمئن الباحث مما سبق أن المزمل جزء ممهّد للمدّثر، فالمزّمّل تهيئة نفسية وجسدية لما سيقوم به المدّثر من عمل خاص بالدعوة.

ويجزم الباحث أن المدّثر لا يمكن أن تحلّ محلّ المزمّل؛ وذلك أن المزمّل تهيئة للمدثر، والمدّثر تهيئة للنبوة، حتى وإن رأى بعض اللغويين أن المدثر والمزمل سواء في الدلالة على اللباس أو الغطاء، إلا أن المزمّل يتزمل بكساء كاللحاف ونحوه؛ للنوم، ليلًا، وقد يقع نهارًا. أمّا الحديث النبوي الشريف" فدخلَ على خديجةَ بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زمّلوني زمّلوني). فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع"[١١٧] فيمكن تفسيره بأنه أراد النوم، ويحتمل أن تكون عودته إليها من الغار ليلا أو نهارًا، وكان تزمله بالكساء واللحاف ونحوهما.

ثانيًا: المدّثّر:

وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١] مرّة واحدة، وتُعدّ السّورةُ من أوائل ما أنزل من القرآن الكريم [١١٨]، ويُجمع المفسرون على أن المراد بالمدّثر سيدنا محمد ﷺ [١١٩]، ولا يختلفون في ذلك، واختلفوا في أنه عليه السلام لم سُمِّي مُدَّثرًا؟ ودلالة "المدثّر" عندهم لم تقتصر على الحقيقية، بل تعدتها إلى المجازية.

أمّا دلالة "المدثر" الرئيسية -كما يرى المفسرون- فلم تخرج عن الدلالة اللغوية التي ذكرت سابقًا، التي تعلقت بالغطاء واللباس، ويتضح هذا في سبب نزول السورة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه راعَ مِن رؤية جبريل، فعاد إلى بيته مسرعًا، وقال: "فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا- قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [١٢٠]، وكان متدثرًا بثوبه [١٢١]، وأضاف الخازنُ ملمحًا تمييزيًا للمدثر ومعلِّلًا سبب تدثره بثيابه؛ ليستدفئ بها [١٢٢]، فكأنه أصابه البرد مما حصل، ويرى القرطبي أنه يتدثر للنوم[١٢٣]؛ و يكون هذا من شِدَّة ما لَحِق به من رؤيته الوحي، ولم يكتفِ القرطبي بالتعليل بل حدّد قماش الثوب الذي تدثّر به النبي ﷺ بأنه قطيفة [١٢٤].

ونخلص مما تقدّم أنّ القرآن الكريم استخدم كلمة "المدّثّر" بدلالاتها المعروفة قبل الإسلام المتعلقة بالشخص الذي يتدثّر بثوبه؛ لسَببٍ ما، والدّثار ثوب يُلبس فوق الثوب الداخلي (الشِّعار) ولمّا قرنها بالرسول ﷺغدت صفة له، فالألفاظ التي ترتبط بالممارسات الاجتماعية أو الطقوسية تُحدثُ ارتباطًا بين الممارسة والألفاظ الدالة عليها كما هو الحال ههنا، فالأصل فِعل يقوم به الشخص الذي يحتاج إلى ارتداء ثوب آخر طلبًا للدفء، ثم يتّصف بهذه الصفة ولكنها لا تلازمه، لكنّ القرآن الكريم

في ندائه سيدنا محمدًا-ﷺ مستخدمًا هذه الصفة يُشعر القارئَ أنها صفة ثابتة وملازمة له، ولا يمكن إنكار العلاقة بين اللفظ والممارسة الفعلية.

ذكر بعض المفسرين دلالة مجازية للمدّثر، منها: المدّثر بدثار النبوة [١٢٥]، وربط بعضهم بين المتدثر بالثوب كالمختفي فيه، والمختفي عن الناس في غار حراء فرأى أن المدَّثِر بدثار الخمول والاختفاء [١٢٦]، فيما يرى فريق ثالث أن المدثر بأثواب العِلم العظيم، والخلق الكريم، والرحمة الكاملة [١٢٧]، ولا يخفى أنه لا يجوز إخراج اللفظ عن دلالته الحقيقية إلى المجازية إلا بقرينة تمنع إيقاع الدلالة الحقيقية، وهي غير موجودة هنا، ويرى الباحث أنْ تبقى الدلالة على حقيقتها؛ لعدم وجود قرينة تؤكد الدلالة المجازية.

يرى الباحث أن دلالة المدثر في القرآن الكريم ليس فيها ملمح تمييزي واضح؛ وذلك أنها لم ترد إلا مرّة واحدة بصيغة المنادى" يا أيها المدّثر"، لذلك يرى الباحث أنه من المفيد للبحث استقراء بقية الآيات التي جاءت متعلقة بالمدثر؛ رغبة في الحصول على ملمح تمييزي أو أكثر.

أعمال المدّثر:

معلوم أن مقاصد الشريعة تقتضي التفريق بين مقامات خطابها، حيث إنّ منها مقام الموعظة، والترغيب والترهيب، والتبشير والتحذير، ومما لا شبهة فيه أن منها مقام التعليم، وهذا هو المقصود في الأوامر الإلهية التالية:

١- ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: ففي (قُمْ) إلزام قيام؛ في إنذار الخلق وبشارتهم، على ما ينتهي إليه وسعك [١٢٨]، و"القيام" المأمور به ليس مستعملا في حقيقته؛ لأن النبيء -ﷺ- لم يكن حين أوحِيَ إليه بهذا نائمًا ولا مضطجعًا، ولا هو مأمور بأن ينهضَ على قدميه، وإنما هو مستعمل في الأمر: بالمبادرة والإقبال والتَهَمّم بالإنذار: مجازًا أو كناية [١٢٩].﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: انتصب "ربك" على المفعولية لفعل (كبّر) قُدّم على عامله لإفادة الاختصاص، أي لا تكبّر غيره، وهو قصر إفراد، أي دون الأصنام[١٣٠]، واختص ربك بالتكبير: وهو الوصف بالكبرياء، وأن يقال: الله أكبر[١٣١]، ومعنى "وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" يعني: عظّم ربّك مما يقوله عبدة الأوثان [١٣٢]، وأجبه فيما دعا إليه، وأطعه فيما أمر[١٣٣]،وبتأمل التركيب النحوي للآية الكريمة في تقديم المفعول به على الفعل فإنه من الواجب الذي سيبدأ به حياته الدعوية الجديدة أنْ لا يجعل كبيرًا في نفسه: قولًا ومعتقدًا، وعملًا إلّا ربّك.، ويستفاد من هذا الأمر الإلهي أن الوظيفة الأساس للمدثر هي الإنذار، وهذا أول ملمح تمييزي يمكن معرفته من الآية الكريمة.

3-﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ : المراد من الآية أنه عليه الصلاة والسلام، أُمِر بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار [١٣٤]؛ وذلك أنّ الناس إذا رأوا أيَّ شَيْنٍ في الداعية كرهوا لذلك دعوته، وعابوه، فرفضوا قبول دعوته [١٣٥]، ولأنّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها، وهي الأولى والأحبُّ في غير الصلاة [١٣٦]، وليس غريبًا أن يؤكّد الرسول -ﷺ- أهمية الطُّهور، فقد قال: "الطُّهُورُ شَطْرُ

الإِيمَانِ"[١٣٧]، ويمكن القول إن الثوب الذي ينبغي للمدثر لبسه يجبُ أن يكون نظيفًا وطاهرًا، وهذا ملمح تمييزي آخر يمكن معرفته من الآية الكريمة.

4-﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: على النظام التركيبي السابق استمر العطف في تقديم المفعول به على الفعل؛ للمغزى ذاته، واختلف في دلالة الرجْز ونطقها، ففي مقاييس اللغة " الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ. مِنْ ذَلِكَ الرَّجَزُ: دَاءٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ فِي أَعْجَازِهَا،... وَمِنْ هَذَا اشْتِقَاقُ الرَّجَزِ مِنَ الشِّعْرِ؛ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ مُضْطَرِبٌ،... فَأَمَّا الرِّجْزُ الَّذِي هُوَ الْعَذَابُ، وَالَّذِي هُوَ الصَّنَمُ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، فَذَاكَ مِنْ بَابِ الْإِبْدَالِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ السِّينُ[١٣٨]، ويؤكد السيوطي أنّ الرِّجز (بكسر الراء) هو العذاب بلغة بَلِيّ [١٣٩]، وروي عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ " الرِّجْزِ" يَعْنِي بِهِ الْعَذَابَ[١٤٠]، أمّا الرُّجْز فهو اسم صنم [١٤١]، وهو العذاب بلغة هذيل[١٤٢]، والرِّجز بمعنى الغضب، دخيلة من الآرامية وأصلها الرُّجْزَ[١٤٣]، ونجد هنا اشتراكًا لغويًا بين العربية والآرامية، ومما سبق يتبين وجود ثلاث كلمات من جذر واحد، تداخلت دلالتا الكلمتين (الرُّجز، والرِّجز) عند بعض المفسرين، والخلاصة التي يراها الباحث أنَّ الكلمة الأولى: الرَّجَز (بفتح الراء والجيم)، ومنها الرّجَز وهو ضرب من الشعر، ليست المقصود في الآية الكريمة، والثانية: الرِّجْز (بكسر الراء وسكون الجيم)، وبها قرئت الآية الكريمة، وهو العذاب، والثالثة: الرُّجْز (بضم الراء وسكون الجيم)، وفسّرها النبي ﷺ بالأوثان[١٤٤]، ومن هذا يمكن القول إن المدثر له ملمح تمييزي متعلق بالعقيدة، فكما أن الملمح السابق كان مختصًا بثوب الطاهر النظيف، فهنا أضفى القرآن الكريم ملمحًا عقديًا للمدثر.

5-﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾: "المَنَّ في العطيّة مِن خُلُق أهل الشِّرك، فلمّا أمره الله بهجر الرُّجز نهاه عن أخلاق أهل الرُّجز نهيًا يقتضي الأمر بالصدقة والإكثار منها بطريق الكناية فكأنه قال: وتصدَّق وأكثِر من الصدقة ولا تمنُن، أي لا تعُدَّ ما أعطيته كثيرًا فتمسك عن الازدياد فيه، أو تتطرق إليك ندامة على ما أعطيت"[١٤٥]، وهنا يمكن استنتاج ملمح تمييزي متعلق بالعمل، فمن طبيعة العامل أن يمنّ في عمله، أو أن يشعر بالزهو في عمله، لكن القرآن الكريم بيّن هنا أن المدثر لا يتصف بصفة المنّ ونحوها، وليكن الصبر خلقًا ملازمًا لك، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾؛ وذلك أنّ الصبر من الأمور التي يحتاجها الداعية، ولا غنى له عنه، سواء أكان صبرًا على الناس في أفعالهم وتصرفاتهم، أم كان صبرًا على الأوامر التي أمره الله بها "قم فأنذر ...تحتاج إلى صبر، وهذا الصبر يجب أن يكون لله تعالى فقط، لا لغيره، وفي هذه الآية إشارة إلى ما سيلاقيه النبي ﷺ من التعب والمشقة أثناء الدعوة، وهذا هو الملح الأخير الذي يمكن استنتاجه من الآية الكريمة، ويمكن تلخيص الملامح التمييزية للمدثر في القرآن الكريم بما يلي: نذير للآخرين، وثيابه نظيفة طاهرة، وعامل لا يمنّ على عمله، وصبور في عمله، ومن حيث العقيدة فلا كبير عنده سوى الله تعالى، ويعبد الله ولا يعبد الأصنام، وصبره لله تعالى، وهذا

الصبر أوسع من الصبر في المزمّل، فصبر المزمّل مقيّد بما يقولون، ولم يبيّن فيه أن يكون صبرًا لله تعالى أو لغيره، أما صبر المدثر فليس مقيدًا بقولهم له، وعليه أن يصبر لله تعالى.

يرى الباحث أن المدّثر إحدى مراحل النبوّة فقد ثبتَ أنّ النبوّة أجزاء، اعتمادًا على قوله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» (١٤٦)، ولمْ يذكر النبيُّ -ﷺ- من أجزائها سوى الرؤيا الصالحةِ، وبيّن ﷺ أنه لن يبقى منها بعد وفاته سوى المبشرات؛ وهي الرؤيا الصالحة: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المبشِّرات». قَالُوا: وَمَا المبشِّرات؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» (١٤٧)، واعتمادًا على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]، يتّضح أن النبوة تشتمل على: الشهادة والتبشير والإنذار والدعوة إلى الله تعالى، وإذا التزمنا الترتيب المذكور في الآية، فإن الإنذار- وظيفة المدثر- جاءت في الترتيب الثالث، ومما يدلّ على أن المزمّل تهيئة للمدثر أن الصبر مشترك في كليهما، لكن صبر المزمّل أقلّ ومحدد بما يقولون له "واصبر على ما يقولون" ولم يبيّن الله تعالى له لِمَ يصبر، أمّا المدثر "ولربّك فاصبر" فالملاحظ تقديم مبرر الصبر على الصبر نفسه، وهذا كافٍ في دلالة التعلّم التي حصلت، وكذلك مطلق الصبر الذي لم يُحدَّد بقولٍ أو فعلٍ منهم، أو من غيرهم، كأنْ يكون صبرًا على الطاعات، أو على ما سيلاقيه من تعبٍ جسمي في القيام أو في تلقي الوحي، أو مما سيثقل عليه بأي شكل كان، فقد جاء في الحديث: "قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البَرْد، فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّد عَرَقا" (١٤٨). والله تعالى أعلم.

النداء في الآيتين:

أولًا: استعمال حرف النداء: يا

الملاحظ في الآية الكريمة استخدام حرف النداء "يا"، وهي تستعمل لنداء البعيد حَقِيقَة أَو حُكمًا كالنائم والساهي (١٤٩)، وتستعمل للبعيد والقريب عند المبرّد (١٥٠)، وأجمعوا على جواز نداء القريب بما للبعيد توكيدًا (١٥١)، وهي أكثر أحرف النداء استعمالًا، ولا يُقدّر عند الحذف سواها (١٥٢)، ولم يجئ غيرها في القرآن الكريم في صيغ النداء من مثل: يا أيُّها الناس، يا معشر الجنّ والإنس، يا عبادي، يا آدم، يا إبراهيم، يا أيُّها النبيّ، يا أيُّها المزّمل، يا أيُّها المدَّثِّر، أمّا إذا كانت الياء مختصة بالبعيد فهذا يعني أن الله ﷻ ينزل "المزمّل" منزلة البعيد؛ وقد يكون مراعاة لمقام الربوبية الرّفيع في توجيه الأوامر والنواهي والتوجيهات، ومن ناحية أخرى فالخلق جميعًا متساوون عند الله في النداء، فلا أحد بعيد ولا آخر قريب، كلهم سواء في النداء.

ثانيًا: العدول عن الاسم الصريح في النداء، والنداء بهيئة المُنادَى عليه.

لم يخاطب اللهُ تعالى سيدَنا محمّدًا -ﷺ- باسمه الصريح "محمَّد"، في حين خاطب عددًا من أنبيائه عليهم السلام بأسمائهم الصريحة، وخاطب بعضًا منهم أكثر من مرّة، في أكثر من سورة، وعدَل

اللهُ تبارك وتعالى عن النداء بالاسم الصريح إلى الصِّفة كما هو الحال في هذا الموضع، والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلَم إذا كان معروفًا عند المتكلم، فلا يَعدِل من الاسم العلم إلى غيره من وَصفٍ أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء، من تعظيم وتكريم نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٥]، أو تلطّف وتقرّب نحو: يا بني ويا أبت[١٥٣]، وذلك مِن عادتهم إذا قصدوا الملاطفة بأحد أن يُسمّوا باسم حالته كقوله -ﷺ- لعليّ بن أبي طالب-كرم الله وجهه-: قُم أبا تراب، وقُم يا نَومان، فلو ناداه سبحانه في تلك الحالة باسمه، أو بالأمر المجرد لَهَالَه ذلك، ولكن لمّا بدأ به أَنِس وعَلِم أنّه ربّه، وهو راضٍ عنه على تلك الحالة، وكان هو مطلوبه، وبه كانت تهون الشدائد عليه [١٥٤].

ورغم شيوع الأسلوب في كلام العرب فإن الذي يطمئن إليه الباحث أن المسألة ليست متعلقة بالتحبّب والتلطّف، فما التحبّب الذي حصل عند ذكر كلمتين متعلقتين بصفتينِ إحداهما فيها خوف "المدثر" والأخرى فيها استعدادٌ للنوم؟ ثم إن هاتين الهيئتين غير دائمتين مع الشخص، فالمدثر لا يبقى متدثرًا طوال اليوم، بل إنه يخلع ثوبه الذي تدثّر به بمجرد انتفاء السبب كالخوف أو البرد ونحوهما، ومثلها المزّمل، فهو لا يبقى على حالته طوال الليل، ولو سلّمنا بذلك ألا يمكن أن نتساءل؟ أيهما أفضل فيما يتعلق بالتحبب أن يقول الله: يا أيها النبي قم فأنذر، أو يا أيها الرسول قم الليل ... ؟ ولو ناداه باسمه فما الخوف الذي سيصيبه؟ ألَمْ يُنادِ الله تعالى أنبياءه ورسله الكرام فقال: يا آدم، يا إبراهيم، وقال: يا موسى؟ فأين الخوف الذي سيصاب به المنادَى؟

يرى الباحث أن سيدنا محمدًا -ﷺ - كان في بداية الدعوة ولم يقم بأي عمل يخصّ النبوة أو الرسالة، إذ النبوّة تكليف القيام بالرسالة [١٥٥] ولم يُكلّف بشيء من أعمالهما، ولم يتلقَّ أي تعليمٍ ديني عنهما، فكيف يخاطبه بالنبي أو الرسول ولم يُكلف بشيء منهما، أو بإحداهما؟ وبناء على هذا فإن الأنسب هو العدول عن النداء إلى هاتين الصفتين كونهما أولى مراحل النبوة والرسالة، ويؤيد ذلك أنّ "يا أيها المزمل" اشتملت على جملة من التوجيهات التي تُهيئ النفس وتُعدّها إعدادًا سليمًا للمرحلة المقبلة، وجاءت بعدها مرحلةُ العمل " يا أيها المدثر قم فأنذر"، ويخلص الباحث أن النداء بهاتين الصفتين (المزمل والمدثر) ليس متعلقًا بالتحبب أو الخوف كما ذكر المفسرون، بل هو مرتبط بطبيعة الدعوة ومراتبها، فالمزمّل ممهد للمدثّر، والمدثر ممهد للنبيّ، والله أعلم.

أمّا من حيث الدلالة فإن كلمة "المدثر" حصل فيها تطور رأسي في الدلالة، إذ كانت في الجاهلية تحمل صفاتٍ سلبيةً (الكسول والنائم والمأبون)، ولمّا استعملها القرآن غَدَت صفة حميدة لا يمكن أنْ تحمل صفة سلبية أبدًا.

الخاتمة:

إن نزول القرآن الكريم باللسان العربي المبين وَفق القواعد اللغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، دليل أكيد على القدرة العجيبة في النظم اللغوي التي لا يمكن مجاراتها مهما بلغ المرء من

بلاغة وبيان، وإن اختيار كلماته يكسبها أحيانًا بعضًا من الخصوصية الدلالية التي تخرجها عن دلالتها العامة المتعارف عليها؛ أي أنّ القرآن الكريم يُعدّ سببًا من أسباب تغير الدلالة، وما توصل إليه الباحث من نتائج يدلّ على ذلك.

النتائج:

- حصلت المماثلة في المزمل بسبب التقارب، وفي المدثر بسبب التجانس.
- حصل تداخل لغوي بين اللغات: العربية والصفاوية والأكدية واليونانية في بعض اشتقاقات الجذر "زمل" أدى إلى تداخل الدلالة.
- حصل تطور أفقي في دلالة المزمل تمثل في: توسيع الدلالة ونقلها.
- بعض اشتقاقات "زمل" وقعت ضمن دائرة المشترك اللغوي بسبب التداخل بين العربية والصفاوية والأكدية واليونانية.
- كلمة المدثر أصابها تطور أفقي تمثل في: توسيع الدلالة، ونقلها، وأصابها تطور رأسي بين الاستعمال اللغوي والقرآن الكريم، إذ أضفى القرآن الكريم عليها رقيًّا دلاليًّا، بدلًا من الدلالة السلبية (الانحطاط الدلالي) التي اكتسبتها في الجاهلية في بعض استعمالاتها.
- لا يمكن وقوع المزمّل محل المدّثر في علاقة استبدالية في القرآن الكريم؛ لأن كل واحدة لها دلالتها الخاصة.
- التّزمّل أعمّ من التدثّر، فالتزمّل يكون بالثوب والغطاء وغيره، أما التدثّر فبالثوب وحده.
- استخدم حرف النداء "يا" مع المزمل والمدثر ومع مخلوقات الله تعالى؛ للمساواة في النداء.
- المزمل مرحلة ممهدة للمدثر، مرتبطة بالليل إلى حدٍ كبير.
- المدثر مرحلة تالية للمزمل، وهي صفة ترتبط بالنهار أكثر، وهي إحدى أجزاء النبوة.

التوصيات:

يوصي الباحث أن تُدرس بقية الصفات المتعلقة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي ذكرت في القرآن الكريم مثل: العبد، والنبي، والرسول، ومحمّد الاسم الصريح، والوقوف عند الملامح التمييزية الدقيقة لكل صفة.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، (ت ١٩٧٧م)، **الأصوات اللغوية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م (ط ٥).
- أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٣٢٨هـ)، شرح ديوان ذي الرّمّة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، جدَّة، مؤسسة الإيمان، ١٩٨٢م، (ط ١).
- أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن الشيباني (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شُعيبِ الأرناؤوط وآخرينَ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩ م (ط ١).
- أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م، (ط ١).
- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمدِ محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).
- أحمد مختار عمر، (ت ١٤٢٤هـ)، **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩١م (ط ١).

–أبو عمرو أحيحة بن الجلاح الأوسي (ت ١٢٩ق.هـ/٤٩٦م)، **ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي**، تحقيق: حسن محمد باجودة، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، (د. ت).

–أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م (ط ٤).

–أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، (ط ١).

–الأعلم الشنتمري، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠م، (ط ٣).

–أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت ٢٨٤هـ)، **التقفية في اللغة**، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٦م، (ط ١).

–امْرُؤُ القَيْس بن حجر من بني آكل المرار (ت ٥٤٥ م) **ديوان امرئ القيس**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م، (ط ٢).

–ثابت بن جابر، المعروف بـ تأبط شرًا، (ت ٩٥ق.هـ/٥٢٩م)، **ديوان تأبّط شرًا**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (ط ١).

–حازم كمال الدين، **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٨م، (ط١).

–أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، (ت ٢٧٥هـ)، **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود شاكر، القاهرة، مكتبة دار العروبة- مطبعة المدنيّ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م، (ط ١).

–أبو الفضل، جمال الدين محمد ابن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، اعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٩م، (ط ٣).

–جوتهلف برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م، (ط ٢).

–أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، **الفروق اللغوية**، تعليق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، (ط ١).

–خالد بن عبد الله الأزهري، المعروف بالوَقّاد (ت ٩٠٥هـ)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، (ط ١).

–الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، (ط ١).

–ربحي كمال، **المعجم الحديث: عبري– عربي**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، (ط٢).

–سليمان عبد الرحمن الذييب، **معجم المفردات الآرامية القديمة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (ط١).

–الشعراء الهُذليّون، **ديوان الهُذليين**، تحقيق: أحمد الزين وآخرينَ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٥، (ط ٢).

–عالِم لغوي قديم، **شرح ديوان رؤبة بن العجّاج**، تحقيق: عبد الوهاب عوض الله، مراجعة: محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ (ط١)، الكتاب ثلاثة أجزاء، حقَّق كلَّ جزء عضوانِ من أعضاء المجمع.

–عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

–**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م، (ط ١).

–عبد العزيز نبوي، **ديوان بني بكر في الجاهلية**، القاهرة، دار الزهراء، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، (ط١).

–عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولبّ لُباب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة المدني- مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، (ط ٤).

–عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، **شرح أبيات مغني اللبيب**، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، بيروت، دار المأمون للتراث، ١٣٩٣هـ، (ط ١).

–أبو محمد عبد الله ابن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (ط ١).

–عدي بن ربيعة، المعروف بالزير سالم (ت ٩٤ ق. هـ)، **ديوان المهلهل**، تحقيق: أنطوان القوّال، بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (ط١).

–علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، (ط ١).

–أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (ط١).

–أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، **المخصص**، تحقيق: خليل جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ، (ط ١).

–أبو عثمان، عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدِ السلام هارون، بيروت، حقوق الطبع محفوظة للسيد محمد فاتح الداية، د.ت (ط ٤).

–فوزي الشايب، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، إربد- الأردن، عالَم الكتب الحديث، ٢٠٠٤م (ط ١).

–لبيد بن ربيعة العامري، (ت ٤١هـ)، **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٢م (ط١).

–مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بدار الرسالة، إشراف محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م، (ط ٦).

–محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: رياض زكي قاسم، بيروت، دار المعرفة ٢٠٠١م (ط ١).

–أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م، (ط ٢).

–محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، **مسند الشافعيّ**، ترتيب محمد عابد السِّندي، واعتنى به مجموعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٧٠هـ (ط ١).

–أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، **(الجامع الصحيح) صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البُغا، دمشق، دار ابن كثير- دار اليمامة، ١٤١٤هـ (ط ٥).

–محمد حسن جبل، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م (ط ١).

–أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، (ط ١).

–محمد داود سلّوم، **معجم الكلمات الأكديّة في اللغات الشرقية القديمة، والإغريقية واللاتينية**، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠٠٣م، (ط ١).

–محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٩٧٣م)، **التحرير والتنوير**، بيروت، مؤسسة التاريخ، ٢٠٠٠م، (ط ١).

–جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٧م، (ط ٣).

–أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، (ط ٣).

–محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م، (ط ١).

–أبو منصور محمد بن محمد، الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، (ط ١).

–أبو الفيض، محمّد بن محمّد، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، القاهرة، دار الهداية، د.ت.

–محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، عالم الكتب، د.ط، د.ت.

–محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (ط ١).

–أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، رتّبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، (ط ١).

–المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**، الدوحة، (٢٠١٨) https://www.dohadictionary.org

–أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥م، (ط ١).

–أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، (ط ١).

–مقبل التام عامر الأحمدي، **شعراء مَذحِج: أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية**، صنعاء، مجمع العربية السعيدة، ١٤٣٥/٢٠١٤م، (ط ٢).

–المهلهل بن أبي ربيعة، (ت ١٣٤ ق. ه)، **المهلهل بن ربيعة**، شرح: طلال حرب، القاهرة، الدار العالمية، ١٩٦٢م (د.ت).

–يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي، **معجم المشترك اللغوي العربي السامي**، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٤م، (ط ١).

الهوامش:

١) سورة المدثر في القرآن الكريم: دراسة تحليلية أسلوبية، للباحثة: رقة اليمني، مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية جوكجاكرتا؛ لإتمام بعض متطلبات اللقب العالي في علم اللغة العربية وأدبها (٢٠١٧م)، ودراسة تحليلية لغوية لسورتي: المزمل والمدثر، فتحي علي حسانين، رسالة ماجستير في جامعة الأزهر/ أسيوط (١٩٩٣م). والمعاني الدلالية والتأثيرية في سورة المدثّر، إيناس إبراهيم الوكيل، قُدّمت في مؤتمر الدراسات الإنسانية وقيم التعددية والتسامح في الفكر الإسلامي /جامعة الأزهر/ كلية الدراسات الإنسانية/٢٠٠٢م.

٢) الإدغام لغة: الإدخال، واصطلاحًا: رفعك اللسان، ووضعك إياه بالحرفين دفعة واحدة بعد إدخال أحدهما في الآخر، فيجب إدغام أول المثلين الساكن أولهما، انظر: خالد بن عبد الله الأزهري، المعروف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ)، **شرح التصريح على التوضيح**، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢١/٢٠٠٠، (ط ١)، ج٢ ص ٥٧٦، والإدغام عند القدماء مقصور على الحروف المتشابهة سواء أكانت في كلمة واحدة ويقال لها الحروف المتجانسة من مثل: شدّ (شدْدَ)، أم في كلمتين ويقال لها الحروف المتقاربة، من مثل: قلْ لِي (اللام في الكلمتين). ومصطلح المماثلة هو الأنسب هنا، وسأذكر المصطلحين في المتن اتباعًا للقدماء، واعتمادًا لمصطلح المحدثين.

٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، (ط ١)، باب "الزاي" ج٢ ص ٨٢٦.

٤) محمد بن أحمد الأزهري، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: رياض زكي قاسم، بيروت، دار المعرفة ٢٠٠١م (ط ١)، مادة "زمل"، ج ٢، ص ١٥٥٧.

٥) انظر: أحمد مختار عمر، (ت ١٤٢٤هـ)، **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩١م (ط ١)، ص ٣٨٧

٦) المرجع السابق، ص٣٨٧.

٧) انظر: فوزي الشايب، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، إربد- الأردن، عالَم الكتب الحديث، ٢٠٠٤م (ط ١) ص ٢٠٧، وتعتمد المماثلة بشكلٍ عام على قانونين هما: قانون الأقوى، وقانون الاقتصاد في الجهد، المصدر نفسه، ص ١٨٩

٨) تأثير الصوت الثاني وقع على الصوت الأول.

٩) لمزيد من التوضيح انظر: فوزي الشايب، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، ص ١٩٩-٢٠٠.

١٠) انظر: أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ص٣٨٨.

١١) انظر: فوزي الشايب، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، ص ١٩٩-٢٠٠.

١٢) انظر: إبراهيم أنيس، (ت ١٩٧٧م)، **الأصوات اللغوية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م (ط ٥)، ص ٦١.

١٣) المرجع السابق، ص ٧٤.

١٤) المرجع السابق، ص ٧٦.

١٥) انظر: أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ص ٣١٦.

١٦) المرجع السابق، ص ٣٢٢.

١٧) الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، مادة "دثر"، ج٢، ص ١١٤٧.

١٨) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص ٤٨.

١٩) **التجانس**: اتفاق الصوتين في المخرج دون جميع الصفات. **التماثل**: اتفاق الصوتين في المخرج والصفات معًا.

٢٠) أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، اعتناء: أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي بيروت، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٩م، (ط ٣)، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٨١-٨٢.

٢١) جوتهلف برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه وعلّق عليه: رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م، (ط ٢)، ص ٢١٨-٢١٩.

٢٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة "زمل"، ج ٢ ص ٨٢٦.

٢٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٨٣.

٢٤) يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي، **معجم المشترك اللغوي العربي السامي**، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٤، (ط ١)، حرف الزاي، ص ٤٥٦.

٢٥) أحمد بن فارس الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م، (ط ١)، مادة "زمل" ج ٣ ص ٢٥.

٢٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، "زمل" ج ١٣ ص ١٥٣.

٢٧) محمد داود سلّوم، **معجم الكلمات الأكديّة في اللغات الشرقية القديمة، والإغريقية واللاتينية**، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠٠٣، (ط ١)، ص ١٣٠.

٢٨) جوتهلف برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص ٢٢٨.

[٢٩]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "زمل" ج ٣ ص ٢٥، وردّ ابن فارس دلالة الجذر إلى أصلين أحدهما الثقل والآخر: الصوت، ويلاحظ من هذا عدم ردّ الدلالتين إلى أصل واحد.

[٣٠]) المرجع السابق.

٣١) الأعلم الشنتمري، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠/١٩٨٠، (ط ٣)، ص ٨٤، وكانت وفاة زهير قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة.

٣٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، (ط ١)، مادة "زمل"، ج ٧ ص ٣٧١.

٣٣) السابق، مادة "زمّ"، ج ٧ ص ٣٥٤.

٣٤) الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، مادة "زمل"، ج ٧ ص ٣٧١.

٣٥) مقبل التام عامر الأحمدي، **شعراء مَذحِج: أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية**، صنعاء، مجمع العربية السعيدة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، (ط ٢)، ص٤٧٨، (ت ٩٤ق.هـ/٥٣٠م)، انظر: **معجم الدوحة التاريخي**، مادة "زميل".

٣٦) أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، (ت ٢٧٥هـ)، **شرح أشعار الهذليينَ**، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود شاكر، القاهرة، مكتبة دار العروبة- مطبعة المدنيّ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥، (ط ١)، ج ٣ ص١٠٣٧.

٣٧) أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨، (ط ١)، زمل، ج٢ ص ٩٩٦.

٣٨) المرجع السابق.

[٣٩]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "زمل" ج ٣ ص ٢٥، هذا هو الأصل الثاني الذي ذكره – رحمه الله تعالى.

٤٠) الخليل بن أحمد، **العين**، مادة "زمل"، ج ٧ ص ٣٧١؛ الأزهري، **تهذيب اللغة**، "زمل" ج ١٣ ص ١٥٣.

٤١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، "زمل" ج ١٣ ص ١٥٣.

٤٢) الشعراء الهذليون، **ديوان الهذليين**، تحقيق: أحمد الزين وآخرينَ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٥، (ط ٢)، ج٣ ص ٣٣، قال يصف وتَرًا يُظهِرُ وترُها المشدودُ عضلاتِ ذراعِ مَن يشدّه. (ت أبو قلابة نحو ١٤٦ق.هـ).

٤٣) عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة المدني/ مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، (ط ٤)، ج ٧ ص ٤٦، (ت ٨٦ ق. هـ).

٤٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٣٠٩.

٤٥) بناء على ما ورد في **معجم الدوحة التاريخي** للّغة العربية؛ وذلك أنه معجم يعنى بتأصيل الكلمة العربية، ويقرنها بغيرها من اللغات السامية إن كانت مشتركة مع أيٍّ منها.

٤٦) لبيد بن ربيعة العامري، (ت ٤١هـ)، **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، تحقيق: إحسان عباس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٢ (ط١)، ص ١٨٩.

٤٧) بناء على ما ورد في معجم الدوحة التاريخي للّغة العربية.

٤٨) المهلهل بن أبي ربيعة، (ت ١٣٤ ق. هـ)، **المهلهل بن ربيعة**، شرح: طلال حرب، القاهرة، الدار العالمية، ١٩٦٢ (د.ت)، ص ٨٤، والمتزمل هنا المتضرج بالدم، من باب المشابهة بالغطاء.

٤٩) أبو عمرو أحيحة بن الجلاح الأوسي (ت ١٢٩ق هـ/٤٩٦م)، **ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي**، تحقيق: حسن محمد باجودة، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، (د. ت) ص ٣٩، ومزمله بالهاء ص ٦٦.

٥٠) امْرُؤُ القَيْس بن حجر من بني آكل المرار (ت ٥٤٥ م) **ديوان امرئ القيس**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م، (ط ٢)، البيت في المعلقة ص ٦٧، ثبير: اسم جبل، الوبل: المطر، والوبل أوسع المطر قطْرًا، والبجاد: كساء مخطط فيه سواد وبياض.

٥١) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، **(الجامع الصحيح) صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البُغا، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ (ط ٥)، ج٤ ص ١٨٩٤، رقم الحديث ٤٦٧٠.

٥٢) محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، **مسند الشافعيّ**، ترتيب محمد عابد السندي، واعتنى به مجموعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٧٠هـ (ط ١)، ج١ ص ٢٠٤، رقم الحديث: ٥٦٧.

٥٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة "زمل"، ج٢ ص ٨٢٦؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٣٠٩.

٥٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، **المخصص**، تحقيق: خليل جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ، (ط ١)، ج ١ ص ٤٠١.

٥٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، "زمل" ج ١٣ ص ١٥٣.

٥٦) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٣٠٩.

٥٧) أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مادة "زمل" ج٢ ص ٩٩٦.

٥٨) المرجع السابق.

٥٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "زمل"، ج ٦ ص ٣٠٩.

٦٠) المصدر السابق.

[٦١]) ثابت بن جابر، المعروف بـ تأبط شرًّا، (ت ٩٥ق.هـ/٥٢٩م)، **ديوان تأبّط شرًا**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٤-٢٠٠٣، (ط ١) ص ٤٨.

٦٢) عالِم لُغويّ قديم، **شرح ديوان رؤبة بن العجّاج**، تحقيق: عبد الوهاب عوض الله، ومراجعة محمد حسن عبد العزيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ (ط١)، ج ٢ ص ٣٤٠.

٦٣) على سبيل المثال لا الحصر: يحيى عبابنة، **معجم المشترك اللغوي العربي السامي**؛ حازم كمال الدين، **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٨، (ط١)؛ ربحي كمال، **المعجم الحديث: عبري – عربي**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، (ط٢)؛ سليمان عبد الرحمن الذييب، **معجم المفردات الآرامية القديمة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (ط١).

٦٤) الأصوات في اللغات السامية وفق الترتيب الأبجدي لا تتعدي اثنين وعشرين حرفًا (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت)، أما العربية فتزيد على تلكم الأحرف (ث خ ذ ض ظ غ).

٦٥) ربحي كمال، **المعجم الحديث:** ص ٢٣ -٢٥.

٦٦) ينظر صفحة (١٨) من هذا البحث عند الحديث على الدلالة المركزية الثالثة.

٦٧) عبد العزيز نبوي، **ديوان بني بكر في الجاهلية**، القاهرة، دار الزهراء، ١٤١٠هـ/١٩٨٩، (ط١)، ص ٦٤٤، (ت الشاعر نحو ٨٦ ق. هـ /٥٣٨م).

٦٨) امْرُؤ القَيْس، **ديوان امرئ القيس**، الشاهد: كلمة دِثار وهو اسم راعي إبل امرئ القيس، القواعل: الجبال الصغيرة.

٦٩) ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، باب "الراء" ص ٣٨٩.

٧٠) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١-٢٠٠٠، (ط١). مادة "دثر" ج ٩ ص ٢٩٣.

٧١) البخاري **(الجامع الصحيح) صحيح البخاري**، ج ٤ ص١٨٧٤، رقم الحديث: ٤٦٣٨.

٧٢) الخليل، **كتاب العين**، مادة" دثر" ج٨ ص ١٨.

٧٣) ابن دريد **جمهرة اللغة**، باب "الراء" ص ٣٨٩.

٧٤) أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت ٢٨٤هـ)، **التقفية في اللغة**، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٦م، (ط ١)، مادة "دثر" ج ١ ص ٤١٩.

٧٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "دثر" ج ٤ ص ٢٩٠.

٧٦) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة "دثر" ج ١ ص ٤١٩.

٧٧) البخاري، **(الجامع الصحيح) صحيح البخاري**، ج ٥ ٢٣٣١، رقم الحديث:٥٩٧٠.

٧٨) ابن فارس **معجم مقاييس اللغة**، مادة "دثر" ج ٢ ص ٣٢٨.

٧٩) الفراهيدي، **كتاب العين**، مادة" دثر" ج٨ ص ١٨.

٨٠) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "دثر" ج ٢ ص ٣٢٨.

٨١) عدي بن ربيعة، المعروف بالزير سالم (ت ٩٤ ق. هـ)، **ديوان المهلهل**، تحقيق: أنطوان القوّال، بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (ط١)، ص ٢٧، قد يحصل لبس بينه وبين المهلهل بن ربيعة التغلبي (ت ١٣٤ ق. هـ)، الذي ورد في ديوانه كلمة (دائره) وليست (داثره) ص ٣٧، أمّا الشاهد فهو من شعر الزير السالم أبي ليلى المهلهل التغلبي، انظر أيضًا: معجم الدوحة التاريخي مادة "داثر" https://www.dohadictionary.org/dictionary

٨٢) أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت ٣٢٨هـ)، **شرح ديوان ذي الرّمّة**، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، جدة، مؤسسة الإيمان، ١٩٨٢م، (ط ١)، ج٣ ص ١٦٦٥.

٨٣) انظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بدار الرسالة، إشراف محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م، (ط ٦)، مادة "دثر" ص ٣٩٠.

٨٤) محمد حسن جبل، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠ (ط ١)، مادة" دثر" ج٢ ص ٦٣١.

٨٥) انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة "دثر" ص ٣٩٠.

٨٦) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ (ط ٤) دثر، ج ٢ ص ٦٥٥.

٨٧) الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، مادة "دثر"، ج٢، ص ١١٤٧.

٨٨) المصدر السابق.

٨٩) أبو الفيض، محمّد بن محمّد، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، القاهرة، دار الهداية، د.ت، مادة" دثر" ج١١ ص ٢٧٢.

٩٠) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، مادة "دثر" ج ١ ص ٤١٩.

٩١) ابن سِيدَه، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة "دثر" ج ٩ ص ٢٩٢.

٩٢) عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، **شرح أبيات مغني اللبيب**، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، بيروت، دار المأمون للتراث، ١٣٩٣هـ، (ط ١)، ج٧٩ ص ٣٤٣.

٩٣) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م، (ط ١)، ج٢ ص ٢٧٨.

٩٤) أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن الشيباني (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيبِ الأرناؤوط وآخرينَ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩ (ط ١)، ج٢١ ص ١٩٤، رقم الحديث: ١٣٥٧٤.

٩٥) أبو عثمان، عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدِ السلام هارون، بيروت، حقوق الطبع محفوظة للسيد محمد فاتح الداية، د.ت (ط ٤)، ج٢ ص ١٣١.

٩٦) أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمدِ محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج٢ ص ٤٠٠، يُضرب المثل للمُخْتَصِّ بك العالم بدِخْلَةِ أمْرِكَ.

٩٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "دثر" ج ٤ ص ٢٧٦.

٩٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "دثر" ج ٤ ص ٢٧٦.

٩٩) ابن سِيدَه (ت ٤٥٨هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة "دثر" ج ٩ ص ٢٩٢.

١٠٠) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "دثر" ج ٤ ص ٢٧٦.

١٠١) الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (ط ١)، مادة "دثر"، ج١، ص ٢٧٩.

١٠٢) لم تكن الصفة في الجاهلية سلبية أو سيئة، ويؤكد رقي الدلالة استعمال القرآن الكريم لها إذ جعلها صفة إيجابية وأذهب عنها السلبية، وهذا ما سيتضح في البحث.

١٠٣) انظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، مادة "دثر"، الفيروز ابادي، **القاموس المحيط**، مادة "دثر"، الزبيدي، **تاج العروس**، مادة "دثر".

١٠٤) الأزهري، **تهذيب اللغة**، باب العين والقاف (برقع)، ج٣ ص ١٨٨.

١٠٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "جبس" ج ٦ ص ٣٥.

١٠٦) المصدر السابق، مادة "دثر" ج ٤ ص ٢٧٦.

١٠٧) أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، (ط ٣)، ج ٣٠ ص ٦٨١.

١٠٨) أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، رتّبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، (ط ١)، ج ٤ ص ٦٣٤؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، (ط ١)، ج ٨، ص ٢٧١.

١٠٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٦ ص ٢٥٦.

١١٠) أبو منصور، محمد بن محمد، الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، (ط ١)، ج ١٠ ص ٢٦٨؛ الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٤ ص ١٣٧.

١١١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤ ص ٦٣٦.

١١٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٦ ص ٢٥٦.

١١٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٦٤.

١١٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٦٤.

١١٥) فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج ٣٠ ص ٦٨٩.

١١٦) المصدر السابق.

[١١٧]) البخاري، **(الجامع الصحيح) صحيح البخاري**، ج١ ص ٤، رقم الحديث ٣.

١١٨) هي السورة الثالثة أو الرابعة في النزول، وهي الأولى عند بعض المفسرين.

١١٩) انظر على سبيل المثال لا الحصر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، (ط ١)، ج ٤، ص ٤٨٩؛ فخر الدين الرازي **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج ٣٠ ص ٦٩٦.

١٢٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٨، ص ٢٧١.

١٢١) الرازي **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج ٣٠ ص ٦٩٦.

١٢٢) علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، (ط ١)، ج ٤ ص ٣٦٢.

١٢٣) أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م، (ط ٢)، ج ١٩، ص ٥١.

١٢٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٩، ص ٦١، والقطيفة ثوب من القطن أو الحرير.

١٢٥) الرازي **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج ٣٠ ص ٦٩٧.

١٢٦) المصدر السابق.

١٢٧) المصدر السابق.

١٢٨) الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، ج ١٠ ص ٣٠٠.

١٢٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٩٤.

١٣٠) المرجع السابق، ج٢٩، ص ٢٩٥.

١٣١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤ ص ٦٣٣.

١٣٢) انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٣٠ ص ٦٩٧.

١٣٣) الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، ج ١٠ ص ٣٠٠.

١٣٤) انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٣٠ ص ٦٩٨.

١٣٥) سعيد محمد حوّى، **الأساس في التفسير**، ج ١١، ص ٦٢٣٠.

١٣٦) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤ ص ٦٣٣.

١٣٧) أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥، (ط ١)، حديث رقم:٢٢٣، ج١ ص ٢٠٣.

١٣٨) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "رجز" ج ٢ ص ٤٩٠.

١٣٩) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج ٢ ص ١٢٢، إحدى القبائل القضاعية التي تقطن ساحل البحر الأحمر جنوب مدينة تبوك ويعرف أبناؤها ب (بلوي) و(بلاونة).

١٤٠) المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦١.

١٤١) المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٤.

١٤٢) المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٠.

١٤٣) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ص ٢٢٥.

١٤٤) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣، (ط ١)، ج ٨ ص ٣٢٧.

١٤٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٩٦.

١٤٦) البخاري، **صحيح البخاري**، ج ٦، ص ٢٥٦٤، رقم الحديث: ٦٥٨٨.

١٤٧) المصدر السابق، رقم الحديث: ٦٥٨٩.

١٤٨) البخاري، **صحيح البخاري**، ج ١، ص ٤، رقم الحديث: ٢.

١٤٩) أبو محمد عبد الله ابن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩-١٩٩٩، (ط ١)، ج ٢ ص ٤٢٩.

١٥٠) محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ج٤، ص ٢٣٥.

١٥١) خالد الأزهري، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ج ٢، ص ٢٠٦.

١٥٢) ابن هشام **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج ٢ ص ٤٢٩.

١٥٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٢٣٨.

١٥٤) انظر: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٧، (ط ٣)، مادة "دثر"، ج ٥، ص ٤١٦-٤١٧.

١٥٥) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **الفروق اللغوية**، تعليق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (ط ١)، ص ٣٠٠.